النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

١٥ و٢ حزيران سنة ١٩٠٩

تاريخ الانقلاب العثماني العظيم

٩

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر (نهار الثلاثاء في ١٤ و٢٧ نيسان) ركب جلالة السلطان محمد الخامس تختاً سلطانياً وقدم من سراي طولمه بغجه الى محطة السركجه حيث ركب عجلة فاخرة وتوجه الى نظارة الحربية تتقدمه كوكبة من الفرسان ويحفُّ به الامراء العسكريون وغيرهم . ولما وصل الى نظارة الحربية عزفت الموسيقى بنغم الحرية . وكان القواد والامراء وضباط الجيش الحر قد خفوا

لاستقبال جلالته وفي مقدمتهم رئيسا الاعيان والنواب ومحمود شوكت باشا قائد الجيش الدستوري وبطلا الحرية نيازي وانور. فدخل جلالته ردهة الاستقبال الكبرى المعدة للمبايعة التي لا تفتح الا في مثل هذا اليوم. ولما جلس عَلَى عرش السلطنة العثمانية تقدم امين الفتوى وتلا دعاء امَّن عليه الجميع. وعَلَى الاثر قام جلالتهُ وقال: «اني مبتهج مما لاقيته من حسن القبول وأَفتخر بكوني اول ملك في عهد الحرية الحقة». وبعد ان أدَّى اليمين مرَّ امامه الاعيان فالنواب فبايعوه مبايعة رسمية بهز اليد. ومما لا بدَّ من ذكره في هذا المقام ان المبايعة منذ عهد السلطان سليم الاول الى السلطان عبد الحميد الثاني لم تكن مشروعة لانهم انما كان يبايعهم الوزراء والمريدون وصنائعهم. اما جلالة السلطان الجديد فكانت بيعتهُ شرعية بواسطة مجلس النواب وصورة المبايعة بالمصافحة وان يقول الانسان «اني ابايعك على الطاعة ما دمتَ آخذاً بكتاب الله وسنته» وهذا تمَّ لجلالة السلطان الحالي ايده الله. ولما انتهت حفلة المبايعة ركب جلالتهُ العربة وعاد بمثل الموكب الذي جاء به الى طوبقبو حيث قضى فريضة الصلاة وقفل راجعاً الى قصره بشكطاش ولما دخله قال: «حتى الان لم اكن حرًّا في اعمالي فان شاء الله صرتُ منذ الان اتمكن من خدمة امتي»

١٠

هذا ما كان من امر حفلة المبايعة اما رجال الوفد الذين قصدوا السلطان السابق لابلاغه خبر خلعه فقد وصلوا الى قصر يلدز وطلبوا مقابلة السلطان فوجدوا انه قد اختبأ في الحرم فذهبوا لمقابلته. فخشي ان يكونوا قد كلفوا بالفتك به فاستغاث بهم على حياته فطيبوا خاطره. و بعد ان هدأ روعه أبلغوه مهمتهم وان الامة ضامنة حياته وراحته وراحة اسرته. فطلب ان يقيم في قصر جراخان وهو القصر الذي وُلد فيه فرفضوا ذلك واخذوه الى قصر بيلر بك وقد خيروه في ما يريد استصحابه معه فعين اسماء بعض نسائه وجواريه وولديه الصغيرين فأُجيب طلبه. ولما خرج الى القصر الجديد ظهرت عليه دلائل الجزع الشديد حتى انه لم يستطع الكلام مع مندوبي المجلس ولكنه ردّد مراراً قوله « قدر محتوم لا مفرّ مما قدّر الله » وفي اليوم التالي ارسلته الحكومة العسكرية الى سلانيك فوصلها الساعة التاسعة والدقيقة ٤٠ من مساء ٢٨ نيسان. ولما نزل من القطار استقبله بعض الضباط المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي وذهبوا به الى قصر الاتيني الذي تعين لسكناه وهو سراي فخيمة كائنة شرقي سلانيك في وسط غابة صنوبر وعلى ٢٥٠٠ متر عن ساحل البحر

هكذا كانت نهاية ملك هذا السلطان وقد كانت مدة توليه زمام السلطنة ٣٢ سنة و٧ اشهر و٢٧ يوماً و١٦ ساعة و٢٥ دقيقة وقد

خسرت الدولة في عهده ما يأتي : استقلت بلغاريا وعدد نفوسها ٦ ملايين وألحقت بها الروملي الشرقية وفيها مليونان ونصف . وألحقت الدو بروجا برومانيا وفيها نصف مليون . و بودغوريجه بالجبل الاسود وفيها ٢٠ الفاً . والبوسنه والهرسك بالنمسا وفيهما مليون ونصف . وطاشلجه ونيش بالسرب وفيهما ٦٠ الفاً . وتساليا و بيرا باليونان وفيهما نصف مليون . وتونس بفرنسا وفيها نصف مليون . والقوقاس و باطوم واردهان وقارص بروسيا وفيها اكثر من نصف مليون . واستقل الجبل الاسود والسرب ومصر و كريت وحولت سيام الى حكم ممتاز وجعلت قبرس في وكالة الانكليز وداس الاجانب كثيراً من جهات المملكة مثل سان ستفانو من ضواحي الاستانة — احتلها الروس في حربهم مع الدولة . وجزيرة متلين — احتلها الفرنساويون مرتين واعطيت المانيا امتياز سكة بغداد الحديدية فملكت ارضاً توازي مساحة ثلاث ممالك اوربية الى غير ذلك من عشرات الوف القتلى الذين سفكت دماؤهم ارواء للمطامع وقد كانت سياسته في حكمه ترمي دائماً الى توسيع الخرق وزيادة الشقاق وادامة الضغائن والاحقاد بين الملل العثمانية وخصوصاً المسلمين والنصارى توصلاً الى الانتفاع بذلك في قضاء الحاجات والاوطار عند الاقتضاء

١١

لبست الاستانة اجمل ملابسها وتزينت باثمن حلاها منذ تبوأ

عرش السلطنة العثمانية جلالة السلطان محمد الخامس فقد ازدانت بالاعلام والرياحين والانوار ثلاثة ايام بلياليها فكانت من ايام العمر · وقد تلا ذلك حفلتان شائقتان لابد لنا من ذكرهما ولو اقتضاباً وهما حفلة تقليد السيف وحفلة حلف اليمين في المجلس الملي الوطني

اما التقليد بالسيف فهو عادة قديمة اصلها ان هذا السيف هو الذي اعطاه آخر ملوك السلجوقيين الى السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية وسببه انه لما هاجر ارطغرل بك والد السلطان عثمان بعشيرته ووصلوا الى حدود الاناضول وجدوا بني علاء الدين السلجوقي في اقتتال فنصروا الصغير الضعيف الذي اوصى له ابوه بالملك دون الكبير · فقام هذا لمحاربة اخيه ففاز الصغير بواسطتهم فاقطعهم ارض سكود واهدى ارطغرل طبلاً وعلماً ونجمة وريشة توضع على الراس اعلاناً بالامارة له · ثم لما اذنت دولة السلجوقيين بالانقراض القى اخر ملوكهم مقاليد السلطنة الى جلال الدين الرومي الشهير غير انه لزهده في الدنيا فرغ السلطنة الى السلطان عثمان الغازي على ان يكون تقليد السيف لملوك ال عثمان من يد ذريته · ولهذا جرت العادة ان شيخ الطريقة المولوية في قونية يقلد كل سلطان يجلس على عرش ال عثمان ذلك السيف اشارة الى ارث العثمانيين الملك عن السلجوقيين

واما حفلة تقليد السلطان محمد الخامس هذا السيف فقد جرت

في جامع السلطان ابي ايوب الانصاري حيث وضعت الدكك في ميدان السلطان ابي ايوب فجلس عليها الناس صفوفاً · ثم مرت فرق الجنود صفاً صفاً ووراءها شيخ الاسلام ممتطياً جواد السلطان الجديد فنادى شيخ الاسلام ايها الناس قفوا اجلالاً للسلطان · فانتصبوا على الاقدام · ثم دخل السلطان الجامع واخذ الامام الاول والثاني والثالث يتلون سورة الفتح الواحد بعد الاخر · وكان السيف موضوعاً على كرسي محللة بالقطيفة الحمراء · فاخذه جلالة السلطان بيده وقبله ورفعه الى راسه واعطاه لجلبي افندي (شيخ الطريقة المولوية الذي قدم من قونية لهذه الغاية) وبعد ان قرأ عليه بعض الايات القرآنية قلد جلالته به وخرج الجميع بعد ذلك ليؤدي جلالة السلطان صلاة الشكر لله

وقد جرت هذه الحفلة نهار الاثنين الواقع في ١٠ ايار (٢٧ نيسان ش)

١٢

ونهار الخميس الواقع في ٢٠ ايار (٧ ايار ش) جرت حفلة حلف اليمين بابهة كبيرة · فاجتمع مجلسا الاعيان والمبعوثان بهيئة جمعية وطنية تحت رئاسة سعيد باشا · وكان اجتماعهما لحلف يمين الامانة للسلطان الجديد واستماع حلفه يمين الامانة للدستور · ولما وصل الموكب السلطاني عزفت الموسيقى بنشيد الحرية وهرع النواب

لاستقبال جلالة السلطان ولما نزل جلالته من العربة استقبله رئيسا مجلس الاعيان ومجلس النواب والنظار ورافقوا جلالته الى منبر الرئاسة حيث كانوا قد وضعوا كرسياً من المخمل الاحمر . وكان كل الاعيان والنواب تقريباً حاضرين هذه الحفلة ولما بدا جلالته واقفاً بين رئيسي المجلسين قوبل بالتصفيق الطويل واشار حينذاك الى فخامة الصدر الاعظم فتلا « خطاب العرش » وهذا تعريبه : « بنعمة الله ومساعدة نبينا تم جلوسنا على عرش عثمان المجيد حسب ارادة الامة وبموافقتها وانا اليوم أشعر بعاطفة فرح واعجاب اذ ارى نفسي بين الاعيان والنواب الذين يمثلون امتنا العثمانية المجيدة . وانا موقن ان شعبي يشاركني في الاعتقاد بان نجاة وطننا العزيز وسعادته وسيره في معارج التقدم يتوقف عَلَى العمل التام والدائم حسب الحكم الدستوري ذاك الحكم الذي لا حاجة الان الى تبيان موافقته للشريعة الغراء ولمبادي الحضارة الحقيقية . وبناءً عَلَى هذا الاعتقاد أرى من اقدس واجباتي ان اعمل بكل قواي عَلَى سعادة وانجاح كل رعاياي دون تفريق وأسأل الله القدير ان يساعدني على تحقيق هذه الغاية التي هي أعزُّ امنية لديَّ . وان وطننا العزيز الذي اجتاز هذه الازمة الكبيرة هو الان اكثر منه في كل زمان بحاجة الى وطنية ابنائه واتحادهم واتفاقهم القلبي حتى يكتسب ما خسره ويضمن سير البلاد الى الامام . ولا شك في ان كل الامم المختلفة الاجناس التي يضمها اسم « العثمانيين » ستجمع قواها

وتتضامّ مربوطة برابطة الوطنية لتحقيق هذا العمل الوطني · وقد أثرت فيَّ الحوادث التي جرت في اطنه تأثيراً شديداً · على ان هذه الفتنة قد قمعت وقد تقرَّر انزال اشدّ العقاب في الذين اشتركوا في هذه الحوادث ومساعدة الذين أُصيبوا بهذه النكبة · وباذن الله نعرب عن املنا بان مثل هذه الاعمال المخالفة للدين وللانسانية لن تتجدد في المستقبل · ونريد ان تؤخذ كل التدابير الفعّالة لمنع هذه الحوادث ونشر الامن والنظام في كل انحاء السلطنة وتوطيد دعائم الوفاق والتوادّ بين كل عناصر الامة · وعلى ابناء هذا الوطن ان يطرحوا احقادهم ومناوآتهم السافلة ليضعوا يدهم بيد بعضهم البعض ويستفيدوا من ثروة بلادنا ويتنعموا بحياة سعيدة ضمن الراحة العامة والسكينة التامة · ومن الضروري اجراء الاصلاح العاجل في الادارة والقضاء والمالية والعمل عَلَى تنظيم قوانا البرية والبحرية ونشر التعليم في البلاد والاسراع في تتميم مايلزم من الاشغال العمومية · وللوصول الى هذه الغاية أتكل عَلَى مساعدة هذين المجلسين الموقرين · وقد رفع الحكم الدستوري الذي توصلنا الى اقامته عَلَى اساس متين شأن وطننا في اعين الاجانب ولا تزال علاقاتنا بسائر الدول والحكومات حسنة · ونرغب من صميم فؤادنا ان تزيد هذه العلائق الوديّة مكانةً وتوطداً ونسأله عزَّ وجل ان يشملنا جميعاً بعنايته الصمدية »

فأمَّن الجميع عَلَى هذا الدعاء وكانوا يقاطعون الخطاب بالهتاف

تصدية الاستحسان

ثم تلا السلطان الحلف الآتي : « قد أقسمت ان احترم الشرع والدستور وان لا أحيد لحظة عن حفظ حقوق الامة ومصالح الوطن » . وعلى اثر ذلك اخذ الاعيان والنواب يقسمون فرداً فردا بين يدي الصدر الاعظم قائلين : اقسم انني اكون اميناً للدستور والوطن والسلطان والله وبالله » . ولما انتهت حفلة اليمين خرج جلالة السلطان من المجلس وكانت الجنود تحييه عند عودته بحماس شديد

حكم تلمودية

﴿ الجزيرة القفراء ﴾

أراد غني ومحسن عظيم ان يسعد عبده فحرره واهداه سفينة مشحونة بأثمن البضائع . فسافر العبد ليبيع بضاعته . وبينا كان في وسط الاوقيانوس هبت العواصف فحطمت السفينة وهلك كل ركابها ما خلا العبد . فحملته الامواج على خشبة الى احدى الجزر . وفيما هو يجول فيها احاط به سكانها هاتفين « ليحي الملك » وساروا به في موكب ملكي الى العاصمة وملكوه عليهم . اما هو فتعجب ودهش وظن ان كل ذلك حلم او وهم . ولكنه ما لبث ان تحقق حقيقة

حاله فقال لاحد المقربين منه -- لست قادراً على ادراك كنه هذا الامر فكيف تملكون عليكم رجلاً فقيراً غريباً لم تروه قبلاً ولا عرفتم عنه شيئاً ؟ فاجابه ان سكان هذه الجزيرة قد التمسوا من الله ان يرسل اليهم كل سنة انساناً ليملك عليهم فاستجاب لهم وصار كل سنة يبعث اليهم بملك تنتهي مدته بنهاية السنة وحينئذٍ يجرد من كل شيء ويرسل الى جزيرة قفراء يقضي فيها حياة تعسة الا اذا كان حكيماً واستعد قبل ذهابه .. وكان الملك مصغياً بكل انتباه ولم يلبث ان خاطب الذي كان يكلمه قائلاً — ارشدني ياروح الحكمة كيف استعد ؟ . قال — عرياناً اتيت الينا وعرياناً ستذهب عنا اما الآن وبيدك السلطان ولك الامر والنهي فارسل الى تلك الجزيرة فعلة يبنون البيوت و يفلحون الارض ويغرسون الاشجار فتتحول الجزيرة القفراء الى جنة غناء فتجد عند ذهابك اليها مملكة ابدية جديدة ورعية صالحة مجيدة . السنة قصيرة والعمل عظيم فجد واجتهد . فتأسف الملك على ما فات من الوقت بدون استعداد وشرع حالاً باتباع هذه المشورة الصالحة وصار ينتظر نهاية السنة بسرور بينما كان سلفاؤه ينتظرونها برعب . وعند نهاية السنة جُرد من كل شيء وارسل الى تلك الجزيرة فلاقاه الذين كان قد ارسلهم بالموسيقى والغناء وملك بسرور وسلام الى الابد . (مغزاه) الرجل الغني المحسن هو الله . والعبد هو النفس . والجزيرة التي وقع عليها هي هذا العالم . والذين ملكوه

هم والداه اللذان اتى اليهما عرياناً باكياً. والذي اشار عليه هو ضميره. والسنة مدة الحياة. والجزيرة القفراء العالم الآتي. والفعلة الذين ارسلهم هم ايمانه واعماله الصالحة التي بها يكون سعيداً مع الله الى الابد

﴿ الامبراطور والشيخ ﴾

رأى الامبراطور ادربانوس بجوار طبريا شيخاً يغرس شجرة تين فدعاه اليه وقال له — لماذا تغرس هذه الشجرة الان فلو عملت في شبيبتك لخزنت مؤونة لشيخوختك. فاجابه الشيخ — قد عملت في شبيبتي ولا ازال اعمل وان شاء الرب اكلت من ثمر هذه الشجرة والاَّ فاني تاركها لابني كما ترك لي والدي ثمر تعبه. فقال الامبراطور — اذا عشت واكلت من ثمر هذه الغرسة فاخبرني. وكتب الله لهذا الشيخ ان عاش حتى اثمرت التينة فملأ من ثمرها سلة صغيرة وذهب فقدمها الى الامبرطور وكان قد نسي الحادثة فقال له — ماذا تريد يا شيخ؟ اجاب — انا هو ذلك الشيخ الذي قلت له يوم رايته بقرب غرسة التين اذا عشت واكلت من ثمرها فخبرني فها انا يامولاي وهذا ثمر التينة. فسر الامبراطور كثيراً وافرغ التين من السلة وملأها له ذهباً. فسمعت بذلك جارة الشيخ فملأت سلة كبيرة من اجود التين وقالت لزوجها — خذها للامبراطور لانه يحب التين وسيملأُها لك ذهباً. ففعل. غير ان الامبراطور ادرك حيلة

قصده فأمر ان يوقف امام ساحة القصر و يرجمه بتينه كل من يمر ·
ولما عاد الى بيته عزته امرأته بقولها — اشكر الله انه لم يكن في السلة نارجيل (جوز هند) بدلاً من التين ::

ابن عرس والبئر

التقى شاب متغرّب بفتاة فأحبها وتعاهدا على الزواج · وحين رجوعه الى وطنه اجتمعا للوداع بجانب بئر وجددا العهود ان ينتظر احدهما الآخر حتى تسمح الظروف باقترانهما · ومرَّ حينئذٍ من امامهما ابن عرس · فقال لها — ابن عرس وهذا البئر يشهدان علينا · اما الفتاة فأقامت عَلَى عهدها بخلاف الشاب فانه تزوج وولد له ابن احبه حباً مفرطاً · وبينما كان الغلام في ذات يوم يلعب بجوار البلدة تعب ونام واتفق ان مرَّ بجانبه ابن عرس فعضه واسال دمه حتى مات · فحزن والداه عليه حزناً شديداً ولم يتعزيا حتى وُلد لهما ابن آخر · ولما درج الغلام وكان ينظر في احد الايام الى ظله في بئر سقط فيه ومات · وحينئذٍ تذكر الرجل عهده وقصه عَلَى امرأته فرضيت ان يفترقا فطلقها وذهب الى الفتاة فوجدها لاتزال مقيمة عَلَى العهد فاعترف لها بخيانته واخبرها بما اصابه · ثم اقترنا وعاشا بسلام

الناصرة القس

اسعد منصور

المفاخر

هذه القصيدة انشدها صاحب الامضاء في محفل الاتحاد والترقي في طرابلس الشام

أَنهض الترك وهزَّ العربا هزةً تنهض منهم من كبا
هزةٌ توقظ فيهم نائماً وتشدُّ الواهن المنعطبا
وتريهم طُرُفَ المجد فام ا حِمامٌ او ينالوا الأربا
وتقيهم سُمَّ سهمٍ خارقٍ أَنحل الجسمَ ورضَّ العصبا
فهمُ الاموات في انفسهم وهمُ الاحياء أماً وأبا
نسبٌ عقٌ بنوه قدره حطٌ حتى احتقرته الغربا
طلَّ بدراً في عكاظٍ واللوى وعُرَيبٍ فأجلَّ العربا
وزهت انواره في مُضرٍ فأرتنا في قريشٍ كوكبا
يارعى الله زماناً كانت الـ عرب فيه للبرايا شُهبا
كرمٌ فضلٌ إباءٌ قوةٌ عفةٌ شادوا عليها الأدبا
يوم كان القفرُ ملجا شائقاً والبناء الرحب فيه مضربا
يوم لا تطرية في وجههم تجعل الحمرة فيهم قُببا
يومَ زانَ العيش صفوٌ رائقٌ فغدا العيشُ رغيداً طيبا
يوم ابطال الورى اسد الشرى بظبى الالحاظ تصطاد الظبا
يوم شيد الحبُ والودُّ علَى شرف القصد فكانا مذهبا

يوم لا زينب تشكو عامراً   لا ولا عامرُ يشكو زينبا
يوم طلَّ البدرُ حيناً واختفى   كاشفاً اسرار هاتيك الرُّبى
وتجلَّت بعده شمس الضحى   وعن الغيب اماطت حُجبا
يوم أغنت سائرات العيس عن   قُطُرٍ تجري بفضل الكهربا
يوم حاديها الذي في شدوه   أرقص السهل وهزَّ الهضبا
يوم ساد المرء بالفطرة لا   باختلاقٍ عيشنا قد أتعبا
تلك حالات مضت هيهات لا   ترجع الايام حالاً ذهبا
يوم لا علم صحيح ينطوي   تحته ما قد تبدَّى واختفى
بلغ العربُ مقاماً عالياً   بُجرازٍ احدبٍ كم حدَّبا
وابتنوا ركناً تسامى رفعة   ركنه البيضُ وأطراف الظُّبى
فتحوا الاقطار شرقاً وانشئوا   فأذلُّوا الروم فيها مغربا
دولة الاسبان لا تنسى المدى   يوم اولوها الشقا والحربا
واسترقُّوا من بنيها أُسداً   واراقوا من دماهم سُحُبا
همةٌ لو صادمرا الدهر بها   وهو في سورته لاضطربا
او تبدّى لهم الموت وهم   في ميادين الطعانِ هَرَبا
عمَّموا الدنيا سلاماً عندما   عمر الخطاب سلماً خطبا
ملكٌ سيَّج بالعدل ذرى   عرشه والامن للكون حبا
ملكٌ ان تعقلوا عنه خذوا   يا ملوك الارض فضلاً وإبا
ان عرشاً جاورته خسةٌ   ليس بدعاً ان نراه ملعبا

ومليكاً أسكرتهُ رفعةٌ   ان يُرى عن عرشه منقلبا
ليس للملك حقوق غير ما   خامل الشعب قديماً وَهبا
سنةٌ قيدنا الدهرِ بها   بالشقا أنحت علينا حِقبا
لعب السيفُ بها ادوارهُ   بامتدادٍ فأرانا العجبا
علة الصمت وقد أصمت بلا   مهلٍ اعلالها قد وَجبا
وعلى الغمّ حقوق القلب إن   مات حقٌ القلب مُتنا أدبا
ما بغى الدهر ولا جار الحمى   انما الاهمال كان السببا
امة من مطلع العدل بدا   بدرها ما طال حتى غربا
كلما الافراد شدُّوا مركباً   اغرق المجموع ذاك المركبا
كلنا نغضب يا قومُ اذا   ما «نيازي» قرمنا قد غضبا

...

ايه قلبي ان بقينا هدفاً   قل علينا الذلُّ ربي كتبا
او شكا الدنيا موانا نحن لا   نشتكي يا قلبُ فالدنيا هبا

سابا قيصر زريق الطرابلسي



احترام الوالدين

(فصل من كتاب اصول الآداب ألّفه ده شانتال الشهير وعربه ومثّله للطبع حضرة صديقنا الاديب زكريا افندي الخوري الياس المري)

اوجبت السنن الطبيعية والدينية معاً توقير واحترام من كانوا علة لوجودنا واسدائهم جميل الشكر لما تكبدوا في سبيلنا من المشاق وبذلوا من النفس والنفيس . قال الله تعالى في وصيته الخامسة ما موءداه :

حبيبي ان تَرُم عيشاً هنيَّا ... وعمراً زائداً يرضي العليَّا
فأكرم والديك بلا انتهاءٍ ... والا صار عيشك علقميَّا

فمنزلة هذه الواجبات ديناً وطبعاً جزيلة الاعتبار حريّة بان تتنزل لدى امعان النظر لا فروضاً بسيطة اعتيادية بل (ليسمح لنا ان نقول) ضحايا مكرسة لارباب ارضيين . وهاك ما ذهب اليه فيلون(١) بقوله ان الوصية الناصة واجبات البنين كان مكتوباً نصفها علىَ اللوح الحجري الواحد المختص بواجباتنا نحو الله والنصف الباقي على اللوح الآخر المتعلّق بالقريب اعتبار كون نصفها الهيّاً ونصفها بشريّاً

ولا مشاحة في انه لا يكفي الفتى ان تتحرّك في قلبه شواعر الاحترام لوالديه بل يجب ان يتحلى بها لسانه واشاراته كلما تمثل امامهما وخاطبهما . فاذا تمثل امامهما فلا يسوغ له كائناً ما كان سنه ان يبدو بغير مظهر الحشمة والادب والمحبة والاحترام بل يجب ان

(١) فيلون هو احد موءرخي اليهود وُلد في نحو عام ٢٠ ق . م . وقد زاول الاجتهاد بتطبيق الشريعة الموسوية علىَ الفلسفة اليونانية

يكون كله آذانا لاستيعاب اوامرهما واحكامهما و يتمم الاوامر بالطاعة والامتثال وان خطرت له عليها ملاحظات مفيدة فليعرضها بعد الاستئذان بعبارات الاجلال والتوقير

تلك الواجبات البنوية ما زالت مقدسة الجانب كما انبأنا التاريخ في كل الاعصر الغابرة عند أعرق الامم في القدمية اذ كانت عندهم من الفروض الدينية. وقضى احكم متشرعي الاجيال المتأخرة بالسلطة للاباء عَلَى اولادهم لعلمهم ان ليس في غير ذلك ما يوالي على استتباب الراحة ونشر السلام بين الانام. وقلدت شرائع اليونان والرومان قديماً سيادة مطلقة للاباء عَلَى ابنائهم لاجماع حكمهم انه يستحيل ان يُعقل كون النفس تسوّل للوالد ان يضلّ عن الحق و يخون الواجب فقالوا بضرورة تخويل ارباب العائلات السلطة القادرة لقمع جماح الاعقاء من الاولاد ولو ندر وجودهم وهاك المثال عَلَى ذلك : فشريعة الرومان كانت تضحي رقبة الاولاد في سبيل اوامر والديهم اذ كان بيدهم الموت والحياة . . ومن ذلك ما روى المؤرخون عن فيلقيوس انه لما علم بانخراط ابنه في سلك مؤامرة كاتلينا قضى عليه بالموت قائلاً : مُت فما كنت سبباً لكيانك لتنتصر لكاتلينا على الوطن بل للوطن على كاتلينا وغير ذلك كثير يؤيد صحة ما ذكرنا ويبرهن ان الصرامة الوالدية التي قد يتبادر الى ذهن البعض انها ظالمة ليست في شيء من ذلك ولا

تخرج عن الحدبل هي مبدأ حفظ تلك السلطة واساسها الراسخ المتين

واشتهر عن الابناء في بلاد الصين انهم يعتبرون اباءهم بمنزلة الالهة و كهذه يحترمونهم في حياتهم و بعد مماتهم . واولاد الخانات والامراء عند الترك والعرب يقدسون ذات الابوة فلا يراجع الفتى اباه بشيء ولا يتمثل لديه الا بمظهر الترتيب وفائق الاحترام ويظل قائماً في موقفه الى ان يؤمر بالجلوس . ومن اراء قبائل الامير كان ان اعظم جرم يقترف هو العقوق بالام . وقد حكي عن والدة هندية انها اذ رأت فتاتها يوماً اساءت السلوك معها نزعت الى رشقها بالماء قائلة اتحتقريني ؟

وهذا البر بالوالدين يفرضه الدين وتؤيده الشرائع وهذه الفريضة مرعية الجانب من جميع مراتب الهيئة الاجتماعية اذ نراها فاعلة بصانع المدينة العامل النشيط فعلها باعضاء الاسر المجيدة واعم من ذلك بين عدد غفير من الفقراء القرويين المحافظين على تقاليد ابائهم الشريفة اما اذا رأينا ان تلك السيادة الابوية آخذة بالضعف عند بعض الاقوام فما ذلك الا نتيجة التربية الفاسدة . ولسنا نطالب بتلك القوانين القاسية التي جرى عليها الاقدمون ولو كانت مشكورة غير منكرة لا تنفي الثقة والامانة من القلوب ولا تلجأ الى التصنع كما يظنن البعض و بعض الظن اثم

ورحم الله لويس التاسع ملك الفرنسيس الشهير بفضله و بره

فانه خلد لنا في بطون التاريخ مثالاً جميلاً لما نحن في صدده فان محبته لامه الملكة بلانش ده كاستيل واحترامه لها وخضوعه لاوامرها الدينية الصارمة يعلقنا بذكرى مجد هذا المليك البر وعفى وعفي الله عن الكونت ده بوربون الذي لما دخل ايطاليا بجيشه الفرنساوي لم يقدم على شيء قبل زيارة ضريح ابيه المتوفى في بزول بداء الطاعون سنة ١٤٩٦ حيثما قام لديه بخدمة مبرورة فانه بعد ان امر بالكشف عن المثوى المذكور طفق يبكي ويذرف العبرات ويصعد الزفرات وقد اثر فيه ذلك المشهد المريع تاثيراً قضى بسببه نحبه وما انتشرت فاجعته بين افراد الجيش حتى ملات الكآبة قلوبهم اسفاً على بسالته ورقة شمائله النادرتين حتى لقبوه بطل البر البنوي

واليك ما قال بعض الفضلاء بهذا الصدد : اننا بالعقل ندرك فنوفي البر بالوالدين حقه من الاعتبار ونعلم انه الحلقة الاصلية في سلسلة الهيئة الاجتماعية . وقال اخر : انه لا اقوى صلة ولا اشد مكانة من روابط العائلة الدموية فهي لذلك نقطة دائرة الهيئة الاجتماعية لان الولد الناشىء على احترام والديه يجد في نفسه محرضاً دائماً على اعتبار غيرهما من كبار القوم ان لم نقل باحترامهم والخضوع لهم

وزبدة الكلام ان هذه الواجبات اعظم عامل لفائدة الجمهور وفي وفي مراعاتها قوة وسعادة الهيئة الاجتماعية ولذا قال احد الفلاسفة : « لا تنال

القوانين الادبية ما لم يبدأ بمزاولتها في حضن العائلة » ناهيك بما ينجم عنها لكل عامل بها من الفوائد الخاصة الجزيلة فذا وفى ابناء اليوم حقوق الكبار من التجلة والاعتبار استوفوا مثل ذلك من ابنائهم وصغارهم وحسبنا محرضاً على احترام الكبار اننا سنعتاض مثلهُ في سنه والسلام

الطباعة

(تابع لما في الجزء السابع عشر)

اما في بلاد الشرق فقد ظهرت الطباعة اولاً في الاستانة العلية. واول مطبعة أنشئت هناك كانت عبرانية يرتقي عهدها الى اواخر القرن الخامس عشر. واما الطباعة بالحروف العربية فقد ظهرت في الاستانة ايضاً سنة ١٧٢٧ على عهد السلطان احمد الثالث. وذكر جودت باشا المؤرخ الشهير وعنه نقل الهلال والمشرق ان احد خلفاء مكتوبي الصدارة واسمه سعيد افندي (ثم صار صدراً اعظم) زار باريس وكان ابوه سفيراً فيها. فاطلع على منافع الطباعة وأحب ان يتحف بها دار الخلافة. فلما عاد الى الاستانة خابر صديقاً له اسمه ابرهيم افندي المجري وكان عالماً رياضياً شهيراً فصادق على نياته ووافقهُ على انشاء مطبعة بحروف عربية تطبع كل

كتب الفلسفة واللغة والتاريخ والطب والهيئة وسائر الفنون مما عدا التفسير والحديث والفقه والكلام . ثم رفعا تقريراً الى الباب العالي يلتمسان الرخصة بذلك . فصدر الفرمان العالي عام ١٧١٧ . وكان سبق شيخ الاسلام عبد الله افندي فأفتى باجراء ذلك سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٢ م) . وكانت هذه المطبعة عربية الحروف مختلفة المطبوعات بين تركية وفارسية وعربية . واول كتاب صدر منها هو صحاح الجوهري سنة ١٧٢٨ . وفي اعقاب ذلك أُنشئت مطابع اخرى في الاستانة وما جاورها مما يطول شرحه . ولا يخفى ان اكثر مطبوعات القرن الثامن عشر في دار السعادة كانت باللغة التركية وقليل منها بالفارسية والعربية

غير ان الطباعة العربية كانت قد ظهرت قبل ذلك العهد بزمن طويل وذلك في بعض الانحاء الاوربية وللمجلة المشرق في ذلك كلام مسهب نلخص عنها ما يلي : في اوائل القرن السادس عشر أُنشئت في اوربا اول مطبعة عربية (في مدينة فانو) واول كتاب طُبع فيها هو كتاب صلاة السواعي حسب طقس الكنيسة الاسكندرية وتاريخ طبعه ١٢ ايلول سنة ١٥١٤ . وظهر بعد هذا الكتاب بسنتين سفر الزبور باربع لغات وهي العبرانية واليونانية والعربية والكلدانية وقد طبع في جنوة في مطبعة نيقولا بولس جوستينياني لملك فرنسا فرنسيس الاول . وفي سنة ١٥٨٤ طُبع اول

كتاب علمي في لغتنا وهو كتاب البستان في عجائب الارض والبلدان لسلامش بن كندغدي الصالحي · ومن المطابع الرومانية الشهيرة مطبعة آل ميديسيس التي سعى بانشائها الدوق فردينندس الاول وكان وكل الى احد الطبّاعين الحذقاء اسمه روبرت غرانيون بحفر حروف عربية فأحكم العمل وحفر اربعة اجناس من الحروف طبع بها آل ميديسيس كتباً عديدة نفيسة اولها كتاب الاناجيل سنة ١٥٩١ بحرف مُشرق وتصاوير جميلة · ومن المطابع الشهيرة في رومية مطبعة العلامة ساقاري دي براف · وكان هذا في اول امره سفيراً لدى الباب العالي في عهد هنريكس الرابع وكان مُغرىً بالعلوم الشرقية فحفر في باريس امهات للحروف العربية واتى بها الى رومية · ومن المطابع القديمة التي شاع اسمها في اوربا بكثرة مطبوعاتها الشرقية مطبعة ليدن (من اعمال هولندة) انشأها العلامة الشهير توما اربنيوس سنة ١٥٩٥ · ومن مطبوعاتها امثال لقمان (١٦١٥) وقصة يوسف البار من القرآن وهو اول كتاب ضُبط بالشكل الكامل (١٦١٧). وغير ذلك · ومن المطابع الشهيرة في اوربا بطبع التآليف الشرقية مطبعة باريس الملكية ومطبعة لندن ومطبعة اكسفرد وغيرها

(التتمة في الجزء القادم)



الفجاءة

حدث بعض الرواة قال : عدتُ في احد الايام من مكان بعيد وكان معي في القطار رجل في سن الاربعين اشيب الشعر تظهر على وجهه عزة النفس ورجل آخر ومعه زوجته وكان الرجل مسناً اكثر من امراته . وقبل دخولي الى القطار حدث بينهما جدال افضى الى الخصام وقد تهيجا منه جداً ومما دلني على ذلك ان الرجل كلم رفيقه بتأثر شديد . وبعد هنيهة وقف القطار في احدى المحطات ونزل منه الرجل وزوجته وبقيت انا والرجل الاشيب وقد نظر اليّ فقلت له — وددت ان انصح هذه السيدة قليلاً . قال — وانا كذلك ولكني اظن ان نصائحنا لا تجدي نفعاً . قلت — فاذاً انت من اولئك الذين يظنون ان كلاً من الناس يستطيع ان يدبر شؤونه الخاصة احسن من غيره . قال — لا وانما ارى ان النصيحة للزوجين قد تجلب لهما مضرة اكثر من المنفعة وعلى الخصوص اذا كانا غير متفقين فان هذا الرجل الذي كان منذ هنيهة هنا دائماً يضيق على امراته فلا يدعها تخرج بدون مراقبته وعلى الدوام يعترضها في كل شان وهي بسبب ذلك قد ابغضته طبعاً وربما ساقتها هذه المعاملة الى الامر الذي يخشاه وتراني في غاية العجب من اولئك الناس الدين يزعمون ان المرأة امة للرجل اما انا فاحب دائماً ان اراها

حرة . قلت — هنا الامر العسير فكيف اذاً يجب ان تكون سياسة الانسان في حالة كهذه ؟ قال — بسيطة اكثر مما تتوهم لان الانثى تبلغ سن الرشاد قبل الذكر وانا اقول انه لايجب ان يطلق لها عنان شهواتها ولا ان يضغط عليها ولكني اقول ان اكثر المخاصمات الزوجية في بادىء امرها مسبب عن سوء تفاهم واليك ما حدث لي : فقد تزوجت بفتاة اصغر مني بعشر سنين ولكن هذا لايؤثر في العيشة اذا كان الزوجان متفقين اما نحن فلم نكن متفقين في الاغراض فقد كنتُ انا منشغفاً بالعلم لا انفكّ عن المطالعة الاّ وقت الاكل بخلاف زوجتي فانها اذ لم يكن لها ما يلهيها كانت تقطع اوقاتها بالاحاديث الفارغة وبكل ما ليس منه اقل نفع غير اننا مع اختلاف المشارب قد احببنا بعضنا وكان السلام ضارباً سرادقه فوقنا ولم يكن احدنا يعارض الاخر في شيء من امياله واعماله. وحدث مرة انها عزمت علَى الذهاب الى مرقص عند احد معارفها فلبست حلاها وتزيّنت بابهى ملابسها شأن اكثر نساء هذا العصر واخذت بيدها مروحة من ريش الطاووس وتنكرت بوجه مستعار وقالت — هاءنذا ذاهبة الى نادي الافراح حيث ينتظرني بعض الاصدقاء والمعارف فهل تحب ان ترافقني ؟ قلت — كلاّ بل أنتظر عودتك هنا . فلم تزد بل ودعتني وسارت في سبيلها وما كادت تخرج من المنزل حتى شعرت بانقباض في صدري وحمل ثقيل

على ظهري فأخذت كتاباً لأزيل ما بي من القلق فلم افلح بل تراكمت عليَّ الظنون والهواجس وخشيت ان يحدث لزوجتي تلك الليلة ما لا احب اذ طالما حدث لكثيرات غيرها تحت اثواب المساخر والوجوه المستعارة ما يندى له الجبين وترتعد الفرائص فشعرت باني اخطأت نحوها بعدم مرافقتي اياها ولم البث ان عمدت الى احد اثواب المساخر التي كنتُ ارتدي بها قبل زواجي وذهبت في اثر زوجتي وكنتُ اعرف المكان الذي قصدته . وحالما دخلت رأيتها بين الجمع فسرَّي عني ودنوتُ منها وانا لا اريد ان اعرّفها بنفسي فاحتفت بي كصديق لا كزوج لانها لم تعرفني بهذه الثياب ولم تكن تتوقع حضوري قط فجلست اليها واخذت احادثها واسايرها في موضوع الرقص والمساخر ثم قلت على سبيل الامتحان — لابد انك تنتظرين هنا ايتها السيدة . قالت — نعم وارجو ان يحدث لي شيء مهم . فلما سمعت كلماتها انقلبت تلك الانوار البهية في عيني ظلاماً حالكاً ولم اعد اشعر بشيء مما حولي وقد ايقنت ان زوجتي تحب سواي . وبعد قليل صدحت الموسيقى بانغامها الشجية فانتبهتُ وسألتها ان ترقص معي فلم تمانع بل تأبطت ذراعي وسارت بي بكل مهارة كانها قد تعوّدت ان تخاصر ايًّا كان من الرجال ولما انتهى الدور الاول طلبت مني شراباً وقادتني الى غرفة المائدة وبعد ان اكتفت اخذتني بيدي الى حديقة المنزل وكانت لا تجهل شيئاً من

الدهاليز والطرق فذهلت وسألتها اذا كانت حضرت الى هنا قبل هذه المرة فقالت — نعم لاني اغتنم كل فرصة لحضور مثل هذه الليالي المطربة. قلت — وهل تحبين زوجك ؟ فصاحت — زوجي ؟ ومن اخبرك اني متزوجة؟ قلت — لم يخبرني احد ولكن امرأة فتانة مثلك لا يمكن ان تبقى بلا زوج. فضربتني بالمروحة وقالت — دع التملُّق الان واعلم ان بين الزوج والحبيب بوناً شاسعاً وحمقاء هي المرأة التي تتزوج اذا كانت مرمى ابصار المحبين والعشاق. ثم القت يدها بيدي وجعلت تتأمل في وجهي (المستعار) فقلت في نفسي «أهذه هي المرأة التي احببتها ؟ فما أشقى حظي ...» ثم لعنت نفسي لاني لم أنتبه الى دخائلها من قبل ولكني شكرت المولى لوقوفي على حقيقة حالها وخيل لي ان كثيرين من معارفي قد علموا بحالتها وازدروا بي واعتبروني نذلاً ومجنوناً وكانت يدها لا تزال في يدي فضغطت عليها فاجابتني بالمثل وقالت باستهزاء — قد خلتك نائماً ياموسيو فالحمدلله انك استيقظت الان. حقاً انك على جانب عظيم من البلادة والجهل ولم ارَ مثلك بعد بين جميع الرجال والشبان الذين اعاشرهم. فلما سمعتُ كلماتها الاخيرة اصابتني رعشة لا تطاق وبقيت مدة الى ان هدأ روعي واخيراً قلت لها وقد ملكتُ نفسي — لا تعتبريني بليداً يا مليكتي ولكني كنت اتأمل في عذوبة كلماتك وسحر منطقك فقد سبيتني وتيمتني وقيدتني عند رجليك. ولما كنت اريد ان افضي

اليك بما يشعر به قلبي وأخشى ان يعكر هذا الضوضاء صفونا فاني ادعوك الى منزلي حيث يخلو لنا الجو فنتحادث بما نشاء بدون رقيب

قالت — هيا بنا فانا مستعدة ان اذهب معك الى حيث تشاء . ولم نلبث بعد هذا ان خرجنا فاستدعيت عربة اقلتنا الى البيت ودخلنا الى ردهة الاستقبال وكان الظلام سائداً في الغرفة فأنرتها بالكهرباء ووقفت ارقب حركاتها وانا اتوقع ان تجثو امامي او تخترع حيلة تتخلص بها من تبعة حديثها فلم يظهر عليها اقل استغراب فازددت حيرة وقلت لها لننزع لثمنا ياسيدتي فلم يعد لنا بها حاجة . فعمدت حالاً الى لثامها فنزعته وما نظرت في وجهها حتى صحت صيحة العجب والذهول وسقطت على الكرسي خائر القوى لان هذه المرأة لم تكن امرأتي كما توهمت ولما عدت الى رشدي اخذت اتأمل في وجهها الذي كسفت طلعته وجه البدر وقد القت الي نظراً اخترق فوءادي كالسهم وشعرت ان كهرباء حبها قد جرت في جميع مفاصلي وتمنيت لو اكون عزباً واتزوج بها واتخلص من امرأتي . . . ثم فطنت ان امرأتي لاتلبث ان تعود فكيف لي ان اتخلص من هذه الفاتنة بطريقة لاتغيظها . وجعلت تتقاذفني تيارات الافكار وانا كلما نظرت الى وجهها الباسم الثغر يزداد حبي لها . وفيما انا غارق في بحار التأملات انتبهت لصوت عربة في الخارج تلاها حركة في الباب الخارجي وسمعت بعدها وطء اقدام امرأة فعلمت

للحال انها امرأتي . وهنا لا يقدر القلم ان يصف ما حل بي وماذا اقول لامرأتي عندما ترى هذه الغادة عندي فاظلمت الدنيا في عيني وخجلت من نفسي واضطربت شديداً وحاولت الكلام مراراً فلم أستطع وكادت تفتح باب الغرفة واخيراً افتحته

. . . .

ولما انتهى صديقي بحديثه الى هنا صعد الدم الى وجهه وصفر القطار مبشراً بوصوله الى المحطة التي كان يقصدها فنزل وقال « الى الملتقى »

عن الروسية عبده ابو جمره

السلاطين الذين لُقبوا باسم محمد

الاول السلطان محمد الاول ابن السلطان بايزيد ولد سنة ٧٨١ هجرية وجلس سنة ٨١٦ فكان له من العمر ٣٥ . وتوفي سنة ٨٢٤ بعد ان حكم ثمانية اعوام

الثاني : السلطان محمد الثاني المعروف بالفاتح فاتح القسطنطينية والغازي الاكبر ابن السلطان مراد الثاني ولد عام ٨٣٣ وجلس عام ٨٥٥ . فكان له من العمر ٢٢ سنة فقط وتوفي عام ٨٨٦ بعد ان حكم ٣١ سنة وترك بعده فتوحات مدّت سلطة الدولة العلية الى جميع الجهات

الثالث : السلطان محمد الثالث ابن السلطان مراد الثالث · ولد سنة ٩٧٣ وجلس سنة ١٠٠٣ فكان له من العمر ٣٠ سنة · وتوفي عام ١٠١٢ بعد ان حكم تسعة اعوام

الرابع : السلطان محمد الرابع ابن السلطان ابرهيم ولد عام ١٠٥١ وجلس عام ١٠٥٧ وله من العمر سبعة اعوام وترك الملك عام ١٠٩٩ بعد ان جلس على السرير ٤١ عاماً · وتوفي عام ١١٠٤

فتكون الفترة بين وفاة الاول وجلوس الثاني ٢١ سنة · وبين وفاة الثاني وجلوس الثالث ١١٧ سنة وبين وفاة الثالث وجلوس الرابع ٤٦ سنة · وبين وفاة الرابع وجلوس الخامس الجالس اليوم سعيداً ٢٢٢ سنة

﴿ تشطير وتخميس ﴾

البيتين المدرجين في الجزء التاسع عشر (نذكر الاجوبة حسب تاريخ ورودها)

١

(لكل عصابة بند افتخارٍ)	ونعم البند بند الاتحاد
شعارٌ مثل هذا دون ريبٍ	(تنافس فيه تيجان البلاد)
(وعصبتنا لواء فخارها في)	وفاق مصلح شان العباد
فقد نهجت سبيلاً للهدى في	(تعلقها بسلطان الرشاد)

**

بمضمار السباق والانتصار ... وميدان التجلد واصطبار
وفوز الحر في اكليل غار ... لكل عصابة بندٌ افتخار

تنافس فيه تيجان البلاد

ونحن على التودُّد والتصافي ... عقدنا قلبنا حتى نلافي
بعزم وفاقنا جيش الخلاف ... وعصبتنا لواء فخارها في

تعلقها بسلطان الرشاد

حنا زهيا الموصلي

٢

لكل عصابة بند افتخارٍ ... تخط عليه ايات الجهاد
وتنشره بافق المجد دوماً ... تنافس فيه تيجان البلاد
وعصبتنا لواء فخارها في ... اغاثة بائسٍ او في اعتضاد
وعثمانيةٍ امسى حميداً ... تعلقها بسلطان الرشاد

**

وجودٌ في اخضرار واحمرارِ ... وخلقٌ في انتصارٍ واندحار
عصاباتٌ تدوم كنفي قطارِ ... لكل عصابةٍ بندٌ افتخار

تنافس فيه تيجان البلاد

فتلك شعارها أكل الكنافي ... وتلك شعارها أكساء حافي
و بعض قصدهم تايين جاف ... وعصبتنا لواء فخارها في

تعلقها بسلطان الرشاد

(مشهور)

٣

لكل عصابة بند افتخارٍ | يعظم قدرها بين العباد
اذا سارت به سبل الترقي | تنافس فيه تيجان البلاد
وعصبتنا لواء فخارها في | ركوب الحق في نيل المراد
واي دلالةٍ ابهى سناً من | تعلقها بسلطان الرشاد

امين سليم جرجوره

٤

لكل عصابةٍ بند افتخارٍ | تموتُ لصونه يوم الجلاد
شعار محبة الاوطان علقٌ | تنافس فيه تيجان البلاد
وعصبتنا لواء فخارها في | مُساوٍ بين اصناف العباد
سيعقدُ بالقلوب لوا ولاءٍ | تعلُّقها بسلطان الرشاد

و . ع

٥

لكل عصابةٍ بند افتخارٍ | لتعرف فيه ما بين العبادِ
غدا شرفاً الى الاوطان حتى | تنافس فيه تيجان البلاد
وعصبتنا لواء فخارها في | مُنيلٍ شعبه كل المراد
وارشدها الى دستور حكمٍ | تعلقها بسلطان الرشاد

سمعان الحاماتي

٦

لكل عصابة بند افتخارٍ   به تمتاز ما بين العبادْ
وتجعل اسَّ غايتها مراماً   تنافس فيه تيجان البلاد
وعصبتنا لواء فخارها في   سنا دستورنا العالي العماد
وقد اضحت معزَّزة بسامي   تعلقها بسلطان الرشاد

جبرايل ابو فاضل

﴿ ايام الشباب ﴾

ناشدتُ شيخاً قد تقوَّ   س َما تفتش في التراب؟
فاجاب يا ولدي لقد   ضيعتُ ايام الشباب

(جميل صدقي الزهاوي)

﴿ اهداء النفائس ﴾

اهدى الخواجا شبلي الجدع (حيفا) هذه المجلة لمدة سنة كاملة الى دائد افندي الجدع (مصر) . واهداها الخواجا سمعان حاماتي (حيفا) الى الخواجا ايليا بيلّو (بناما) فنشكر لحضرة الفاضلين المشار اليهما غيرتهما الادبية

شقاء الملوك

فبهت الملك وقال — واي واجب يفرض عليك ان تنقذي حياتي من مخالب الموت وانتِ مع سائر اعضاء جمعيتك الاشتراكية تمقتوني وتحتقروني . فقد كان الاحرى بكِ ان تساعدي على قتلي لا على انقاذي

فنظرت لوطيس اليه بثبات جاش وقالت — وهمت ايها الملك وقد كان الاجدر بك ان تعرف رعاياك حق المعرفة . فنحن لسنا قتلة وليس من شأننا ان نسعى في اذيتك وانما نحن نريد ان ان نوحي اليك مبادىء الشرف والحرية والعدل والانسانية . نحن نعيش بين الفقراء والعامة ونرى باعيننا الاغنياء والعظماء يدوسونهم ويسومونهم كل عسف وظلم فنشطنا لاغاثتهم وقمنا ننبه فيهم عوامل شرف النفس وقيمة الذات والمساواة والحقوق حتى اذا فهمونا وتحققوا استبداد المتسلطين بهم نهضوا للمطالبة بحقوقهم ومكافحة كل ظلم واستئثار . فنحن لا نبغي سوءاً لاحد ولا نطلب موت احد الا اذا راينا تفاقم الشر واستحالة اصلاحه او ملاشاته الا بتضحية بعض المفسدين . واما هذا الشاب التعس الذي قصد اليوم الفتك بك فهو ليس من جماعتنا ولا مذهبنا

فتبسم الملك وقال — انا اعرف ذلك . ولما قال هذا رأى لوطيس

ترتجف وكادت تسقط الى الارض فبادر اليها واجلسها على كرسي هناك وهو يقول — اراك واهية القوى جداً فكيف تريدين ان تخرجي من القصر وانت على هذه الحالة ؟ فارجوك اذاً ان تبقي عندنا بضعة ايام ريثما تعود اليك صحتك بتمامها

قالت — لايمكن ذلك لان كل دقيقة اقضيها هنا تحسب وقتاً مفقوداً

قال — ولكني اريد ان اشكرك على صنيعك الجميل ولا اعلم كيف وبماذا

فعبق وجه لوطيس بحمرة شديدة وقالت — انا لا اريد ان تشكرني او تجري لاجلي شيئاً فانت ملك وانا فتاة بسيطة غير اني أفتخر بكوني كذلك اكثر من افتخارك بمملكتك فاي شيء تقدر ان تمنحني؟ أثروة ام مجوهرات ام رتباً ؟ كل هذا لايعتبر في نظري. اما اذا اردت ان تشكرني حقيقةً فاعمل شيئاً للامة. اخدم مصلحتها واكتسب ثقتها ولتكن هذه الحياة التي انقذتها اكثر شرفاً ومروءة مما هي الان.

ولما قالت هذا شعرت بقوة ونشاط في جسمها فوقفت ودنت من الملك واستتلت قائلة — ولعل وجودي هنا في هذه الفترة القصيرة مفيد جداً لان رعيتك لاتقدر ان تراك او تخاطبك في امورها وأحوالها لانك على الدوام محاط بحراسك وخدمك الذين يظهرون

لك حقائق الحال ولا يطلعونك علَى شيءٍ من مطالب الشعب بل يخفون كل ذلك عنك ويتملقونك علَى الدوام ويتزلفون اليك بقولهم لك ان الرعية في راحة والبلاد في امان الى غير ذلك من التمويهات التي لا تكون عاقبتها الا وبالاً . وعلَى هذه الصورة اتخذك هوءلاء المملقون الكذبة العوبة في ايديهم مع انك تقدر لو اردت ان تطردهم جميعاً عنك وتنشط الى العمل بنفسك لاجل مصلحة شعبك . وها انذا اتكلم الان معك بكل جرأة لاني لا اخشاك ولا انتظر منك منفعة ذاتية بل جل ما اتمناه ان تكون رجلاً مفيداً

الفصل الرابع والخمسون

﴿ الاعتراف بالحب ﴾

فنظر الملك اليها طويلاً ثم قال — فاذا لم يكن فيَّ شيءٌ من الصفات والاخلاق التي تشيرين اليها فلماذا أنقذتِ حياتي ؟

فتنفست لوطيس وقالت — قد فعلتُ ذلك ليس لانك ملك

قال — فلماذا اذاً

قالت — ان لذلك سبباً آخر وهو نسائي محض

قال — وهل لي ان اعرف ما هو ؟

فتوردت وجنتا لوطيس وقالت — ليس في ذلك ما يُخشى كشفه فقد انقذتك لانك تشبه رجلاً احبهُ

فلما سمع الملك منها ذلك دهش لهذا التصريح وهذه الحرية في القول فتبسَّم ولم يجبها بكلمة. اما هي فاستتمت كلامها قائلة — ربما تستغرب كلامي وتضحك منه فلا عجب فان الرجال بالاجمال يضحكون علَى قلب المرأة وجنونها. وهب ان ما قلتهُ جنون غير اني لا اريد ان اكذب فلو لم تكن جلالتك شبيهاً بمن احبه الى درجة العبادة لما مددتُ يداً لمساعدتك او الدفاع عنك. نعم انت تشبهه بالصورة فقط واما بالنفس فبعيد عنه جداً ومع هذا فانا لم أَدع يداً اثيمة تُمَدُّ الى مثال حبيبي فلا تظن بعد هذا الاقرار اني انقذتك اليوم من الموت لمجرد كونك ملكاً بل لانك تشبه كل الشبه من أَحبتهُ نفسي وهويه قلبي. انك تشبهه بالوجه والتبسم والعينين والحركات ولكنك لا تشبهه بعظمة النفس وعلوّ الهمة. وهو ولئن كان بسيطاً فقيراً ولكنه يفوقك الوفا من المرات بمحامد الفعل ومحاسن الخصال. ولو عرفتَ اياديه البيضاء على الفقراء والمحاويج واستعداده الدائم لكل مساعدة وخدمة في سبيل الوطن والامة لعذرتني على هذا الكلام

ولما فرغت لوطيس من كلامها تقدم الملك اليها فأخذ يدها ورسم عليها قبلةً حارَّة وقال — لي الشرف ايتها السيدة ان اكون شبيهاً بحبيبكِ ولو بالظاهر فقط على اني ارجوكِ كلما نظرتِ اليه في اثناء اجتماعاتكما ان تذكريني وتشفقي عليَّ لانني انا ايضاً متألم كل

التألم بفضل الشرائع الموضوعة من اسلافي والتي ينبغي لي ان أسير بموجبها ولو بالرغم عن ارادتي . فلا تحكمي عليَّ بعد الآن حسبما تسمعين ولا تنسبي اليّ الجور والعسف وسائر المظالم التي ينسبها اليَّ الناس واني بريء منها براءتكِ من سائر الشرور العالمية

فلما سمعت لوطيس ذلك قالت وهي مندهشة — فاذا كنت جلالتك بريئاً من كل تهمة وليس لك دخل في المشروعات المالية التي يجريها وزراوءك بقصد ابتزاز اموال الرعية فاطرد كارلوس بيروس من وظيفته و بهذا تخدم البلاد خدمةً سنية تعود عليك بالفخر

فتبسم الملك وقال — انتِ كسائر بنات جنسكِ اللطيف تطلبين كثيراً وانا اريد ان اتمّ كل مطالبكِ اما اعفاء كارلوس من منصبه فهذا يستحيل عليَّ الان لاني قلما اتداخل في السياسة وفضلاً عن ذلك فكارلوس قد تعين الان في منصب كبير الوزراء

فلما سمعت لوطيس ذلك امتلأت غيظاً وقالت — اذا كان الامر كما تقول فحذار ايها الملك لان الامة كلها ستنهض نهضة واحدة في وجهك وليس لقوة حينئذٍ ان تقف في وجهها فيصير في المملكة اضطراب عظيم وفتنة حقيقية وعليه فأنصح لك ايها الملك ان تفتح عينيك وتنظر الى الهاوية التي تريدان ترمي بنفسك فيها . ان وزراءك يخدعونك ويخدعون الامة و يضلونها سواء السبيل .

فعليك اذا كنتَ رجلاً حقيقياً ان تستأصل كل فساد في المملكة ولا تسمح للوزراء ان يعبثوا بمصالح البلاد وحقوق الرعية واذا كنتَ لا تقدر ان تقوم بأثرة تذكر فلماذا خلقك الله شبيهاً برجل هو آية الكمال والجمال

فتبسم الملك وقال — وانا ايضاً اتعجب من هذه المشابهة الخلقية واريد ان اتشبه بالرجل الذي تشيرين اليه ولو بشيء قليل من جمال النفس فعسى ان اتوفق الى ذلك في وقت قصير . فالحياة التي انقذتها اليوم من خطر الموت تريد ان تظهر للملا انها مستحقة هذا الانقاذ . اما الان فالوداع ايتها الفتاة الشريفة . انت لا تودين ان تبقي في قصري ولا ليلة فعلى الطائر الميمون . قال هذا وخرج من الغرفة وبقيت لوطيس وحدها وهي سابحة في عالم الخيال . وان هي لكذلك اذ دخل عليها الطبيب هنري فناولها جرعة من دواء وقال — اذا كنتِ تشائين الذهاب الى منزلك ايتها السيدة فتفضلي . فشكرتهُ لوطيس وسارت وراءه ولما صارا عند باب القصر اركبها هنري عربة وامر الحوذي ان يوصلها الى المكان الذي تريد . ثم دخل القصر وهو يقول في نفسه « ما اعظم اعمالك ايها الحب فلولاكِ لقُضي الامر وراح الملك والحبيب شهيد شجاعته ومروءته . . »

الفصل الخامس والخمسون

المجرم والكاهن

في الجهة الشمالية من العاصمة كان قائماً بناء عظيم قاتم اللون ضخم الجدران شاهق البنيان · وهذا البناء هو السجن الملوكي الذي كان يُودع فيه جميع اصحاب الجرائم · وكان فيه عدة غرف تحت الارض لا يكاد يدخلها النور والهواء · ففي واحدة من هذه الغرف أُودع الشاب المجرم الذي هجم على الملك بقصد اغتياله · وقد أُقيم على باب سجنه خفيران مدججان بالاسلحة

وفي الساعة التاسعة مساء من نهار الحادثة المذكورة جاء الى السجن كاهن وبيده اجازة من الجنرال برنغوف رئيس الشحنة لينفرد بالسجين ويسمع اعترافه · فلما رأى رئيس السجن الاجازة أذن للكاهن بالدخول وما كاد يدخل غرفة السجين حتى عرفه هذا فوثب اليه وانطرح على قدميه وهو يقول — اعنّي ايها الاب فورتيس واشفق عليَّ · ولم يكن هذا الكاهن الا دل فورتيس نفسه · فلما سمع كلام السجين ذعر ونظر اليه نظرة ازدراء ثم التفت الى كل الجهات وقال له بصوت منخفض — اصمت ايها الوقح ولا تنس ان الخفراء يراقبوننا · ثم رفع صوته وقال — لقد جئت الان لاقوم بواجباتي الكهنوتية فأسمع اعترافك وامنحك غفران الخطايا والتعزية الروحية

فنظر اليه السجين بعينين جاحظتين وقال ـ فانت اذاً قد جئت الان لتهيء نفسي لدخول السماء · قال نعم وانت مخير بين ان تدخل السماء او جهنم لان ذلك في سلطة الكنيسة · قال — انا اعلم ان الكنيسة تقدر ان تخلصني او تهلكني

ثم جلس دل فورتيس على مقعد حجري هناك وقال للمجرم — ادن اذن مني يا ولدي الروحي واجلس هنا بازائي · ثم اخرج من جيبه صورة المسيح المصلوب وقال له ـ انظر الى هذه الصورة واجتهد ان تتحول بافكارك عن الارضيات الى السماويات · تخشع امام الرب وصلّ اليه بكل حرارة لينقي نفسك الملطخة باوزار الاثام · قال هذا ولفظ صلاة لاتينية ثم ضغط عَلَى يد السجين وقال له همساً — تظاهر ايها الغبي مثلي · انحنِ امامي واظهر على وجهك الكآبة والحزن · ثم قال له بصوت عال ـ انت اليوم قد اقدمت عَلَى فعل فظيع · قال انا اعلم ذلك · قال — ولماذا اقدمت عَلَى مثل هذا الفعل الشرير ومن اشار عليك به ؟ فرفع المجرم راسه مستغرباً وقال — من اشار علي بذلك ؟ كثيرون · فضغط دل فورتيس عَلَى يده شديداً وقال انت كاذب ومفترٍ فمن انت وماذا كنت ؟ الم تكن في اول امرك طريح الازقة تكاد تموت جوعاً ؟ افلم ناخذك نحن ونؤويك ونطعمك ونعلمك ونربّيك حتى صرت رجلاً ؟ فكيف تقول ان كثيرين اشاروا عليك بهذا العمل الفظيع وانت تعلم حق العلم ان حياتك كلها